# خاتـــمة التـــصوف

تأليف:

الشيخ محمد اليدالي تـ 1166هـ

تصحيح:

الأستاذ: الراجل بن أحمدسالم اليدالي

مراجعة طالب العلم /

جمعه بن عبد الله الكعبي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصَلاة والسلام عَلَى أشرف المرسلين

**مقدمة:**

هذا الكتاب في الأصل جزء من كتاب قواعد العقائد، وهو خاتمة للكتاب الأول، لكن المؤلف ميزه عنه من حيث المنهج، فجعل له مقدمة، وقسمه إلى ثلاثة أبواب، وعزز هذا الفصل بأن وضع للخاتمة شرحا كبيرا مستقلا عن الفرائد، وأكده بالعزو إلى الكتاب الأخير دون الأول، فيقول في الذهب الإبريز في أكثر من موضع: "راجع للتوسع كتاب الخاتمة، أو شرح الخاتمة".

تسلك هذه الخاتمة نهج التقعيد والاختصار الحثيث الذي سلكه المصنف في قواعد العقائد، ويكثر المصنف فيها من استخدام كلمة "اعلم".

**ويختم مقدمته لها هذه بفصلين:**

**الأول منهما:** عن أهمية العمر، وضرورة اغتنامه للعمل بالفرائض والنوافل المرغب فيها شرعا.

**أما الثاني:** فصدره بأن التصوف فرض عين، وذكر فيه أركانه.

**ويخصص الباب الأول:** للخلق.

**وفي الفصل الأول من هذا الباب:** الحديث عن الدنيا، وضرورة الزهد فيها، بنفض يد القلب منها.

**وفي فصله الثاني:** يندب إلى رفع الهمة عن الناس، خوفا، وطمعا، وشكرا، والنظر إليهم بعين الشريعة، أمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر، وعين الحقيقة بالعذر.

**وفي فصله الثالث**: يذكر العمل، وعدم الاعتماد عليه، وعدم طلب الثواب عليه لاعتلاله، وينصح بتصحيحه بالصدق.

**ويعقد الباب الثاني** لذكر الرذائل.

**والثالث:** في الآداب والفضائل

**وقد** شكل هذا الكتاب الأساس النظري، والأصل المرجعي للتصوف السني في البلاد، بل امتد تأثيره إلى خارج الحدود، ولم تنحصر الاستفادة منه في فرع المؤلف من الشاذلية، بل تجاوز المدرسة الشاذلية كلها، فاعتمد عند بعض رموز القادرية منهجا يطبقونه، واستعان به كثيرون وسيلة للتربية ومادة للرد عن أهل التصوف.

**ولا** أستبعد أن يكون النابغة الغلاوي قد قصد هذا الكتاب في المقام الأول حين قال: "إن النظر في تآليف محمد اليدالي يربي". و في نقله عن بعض الصالحين أن من خاصية تآليف محمد اليدالي أنها في التربية كالشيخ.

**وكان** لخاتمة التصوف تأثير كبير في الأوساط العلمية داخل الوطن وخارجه؛ فأقبل عليها الناس بالاستنساخ والتعليم والنظم، وأخذ عنها المؤلفون في مادتها، قلَّ من يؤلف بعده في التصوف إلا وكانت من أهم مراجعه. **نذكر منهم على سبيل المثال:**

-سيد محمد بن انبوجَه التيشيتي في كتابه: "الجيش".

-محمد مولد بن أحمد فال المتوفى 1323هـ في كتابه: "مطهرة القلوب".

وعلق عليها الشيخ: محمذفال بن متالي وقال إنها: "فرض عين في التصوف".

كما نظم نص الخاتمة علماء أجلاء منهم:

الولي الشيخ أحمدو بمب السينغالي المتوفى 1340هـ في "مسالك الجنان".

العلامة: المختار بن جنك اليدالي المتوفى 1321هـ.

والعلامة: أبَّاه بن محمد الأمين اللمتوني المتوفى 1380هـ ونظمها في ثلاثمائة وثلاثة عشر بيتا كما قال في نهايته.

العلامة: محمذن الشفيع بن محمد بن المحبوبي المتوفى 1407هـ.

وقد اعتمدنا على هذه النسخة المطبوعة والتي صححها شيخنا: الراجل بن أحمدسالم، الأمين العام لزاوية الشيخ محمد اليدالي، سلمنا إياها جزاه الله خيرا، وأطال بقاءه..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

**جمعه بن عبد الله الكعبي**

# نــصُّ الخـــــاتمة

مَا قَدَّمْنَاهُ تَوْحِيدُ المتكلِّمينَ، وَهُوَ إِفْرَادُ التَّوحِيدِ مَعَ عَدَمِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ.

وأمَّا تَوْحِيدُ العَارفينَ – وَهُوَ التَّصَوُّفُ - فَهُوَ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَى التَّوْحِيدِ حَتَّى لاَ يَلْتَفِتَ إِلَى الْخَلْقِ، وَيَتَخَلّى ظَاهِراً وَبَاطِناً عَنِ الرَّذَائِلِ، وَيَتَحَلَّى فِيهِمَا بِالآدَابِ وَالْفَضَائِلِ.

**وَتَشْتَمِلُ هَذِهِ الْخَاتِمَةُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ، وَثَلاَثَةِ أَبْوَابٍ:**

**فِي الْخَلْقِ، وَفِي الرَّذَائِلِ، وَفِي الآدَابِ وَالْفَضَائِلِ.**

## مُقَـدِّمَـةٌ:

**اعْلَمْ** أَنَّ الْعِلْمَ الْمُتَعَلِّقَ بِالظَّاهِرِ كَالأَعْمَالِ يُسَمَّى تَفَقُّهًا، وَهُوَ مُقَدَّمٌ، وَبِالْبَاطِنِ كَالأَحْوَالِ تَصَـوُّفًا، وَالظَّاهِرُ تَبَعٌ للْبَاطِنِ؛ فَالْمُخِلّ بِالأَوَّلِ هَالِكٌ فِي الدُّنْيَا بِحُكْمِ الْعُلَمَاءِ، وَبِالثَّانِي فِي الآخِرَةِ بِحُكْمِ مَلِكِ الْمُلُوكِ، فَلَزِمَ جَمْعُهُمَا.

**وَاعْلَمْ** أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ هُمَا سَبَبَا السَّعَادَةِ، فَاجْتَهِد فِي فِعْلِهِمَا وَفِي تَصْفِيَتِهِمَا مِنَ الآفَاتِ، وَصَحِّحْهُمَا بِالإِخْلاَص وَالصِّدْقِ، وَبِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَلاَزِمْ مِنْهُمَا ما ثَقُلَ عَلَى نَفْسِكَ، وِ مَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ لَوْ جَاءَكَ الْمَوْتُ، وَاحْتَمِلْ مَشَقَّتَهُمَا زَمَنًا قَلِيلاً لِتَسْلَمَ وَتَتَنَعَّمَ دَهْرًا طَوِيلاً. وَإِكْثَارُهُمَا مَعَ الآفَاتِ غُرُورٌ، وَتَرْكُهُمَا لِخَوْفِهَا، أَوْ لِعَدَمِ الْحُضُور، وَتَرْكُ التَّوْبَةِ لِخَوْفِ الْعَوْدِ غُرُورٌ.

**وَالْعِلْمُ** أَفْضَلُ مِنْ الْعَمَلِ، وَأُسُّه، إِلاَّ أَنَّ الْعَمَلَ ثَمْرَتُهُ، وَقَلِيلُهُ مَعَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِهِ مَعَ الْجَهْلِ.

**وَالْعِلْمُ النَّافِعُ** مَا كَانَ تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لاَ رِيَّاءً وَمُبَاهَاةً وَمِرَاءً، وَلاَ تَصَيُّدًا لِلدُّنْيَا وَتَحَيُّلاً لِصَرْفِ الْقُلُوبِ، وَإِلاَّ كَانَ حُجَّةً وَوَبَالاً عَلَى صَاحِبِه. وَمَا أَفَادَ الْخَشْيَةَ وَالذُّلَّ وَالأَدَبَ وَالزُّهْدَ وَالتَّوَاضُعَ وَالافْتِقَارَ، وَطَهَّرَ الْقَلْبَ، وَقَمع النَّفْس، وَمَنَعَ صَاحِبَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَإِلاَّ لَمْ يمنعْ غَدًا مِنَ النَّارِ.

**وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ** التَّوْحِيدُ فَالتَّفْسِيرُ فَالْحَدِيثُ فَالْفِقْهُ فَالآلاَتُ عَلَى حَسَبِهَا.

**وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ** مَا تَعَدَّتْ فَائِدَتُهُ؛ كَالْعِلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ، وَما صَفَّى الْقَلْبَ وَهُوَ مَا دَامَ مِنهُ، وَإِنْ قَلَّ، وَمَا شقَّ عَلَى النَّفْسِ؛ كَالإِنْفَاقِ لِلْبَخِيلِ، وَالصَّوْمِ لِلشَّرِهِ. كَمَا أَنَّ أَقْبَحَ الْمَعَاصِي مَا قسَّاهُ.

**وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ الْقُرْآنُ**، وَحَرْفُ تَدَبُّرٍ أَفضَلُ مِنْ حَرْفَيْ غَيْرِهِ، وَبِالصَّلاةِ، ثمّ بِالْمُصْحَفِ، والجَهْرُ حَيْثُ لاَ رِيَاءَ. وَالنَّفْلُ أَفْضَلُ بِالْبَيْتِ وَبِاللَّيْلِ، وَفِي جَوْفِهِ الْأَخِيرِ.

## فَصْـــلٌ:

**اِعْلَمْ** أَنّ أَحَبّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْمَوْتَى أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الدُّنْيَا، وَلَوْ سَاعَةً، لِيَعْمَلُوا صَالِحًا، فَاغْتَنِمْ بَقِيّةَ عُمُرٍ ضُيِّعَ أَوّلُهُ قَبْلَ فَوَاتِهَا. وَلاَ تَغْفُلْ عَنْ مُرَاعَاةِ الْبَاطِنِ، وَضَبْطِ الْخَوَاسِّ، وَحِفْظ الأَنْفَاس؛ لأَنَّ كُلَّ نَفَسٍ جَوْهَرَةٌ نفيسةٌ يُمْكِنُ أن يُشْتَرَى بها كَنْزٌ لاَ يَتَنَاهَى نَعِيمُهُ أبداً، فَإِخْلاَءُ نَفَسٍ - أَوْ فِي مَعْصِيَّةٍ - حَسْرَةٌ وَخُسْرَانٌ.

وَاعْمُرْ أَوْقَاتَكَ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ بِالنَّوَافِلِ، وَمِنْهَا صَلاَةُ الضُّحَى، وَرَوَاتِبُ الْفَرَائِضِ الْمَشْهُورَةِ، وَالتَّنَفُّلُ فِي الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الْفَاضِلَةِ، وَالصَّدَقَةِ، والصَّوْمِ، وَلاَسِيَمَا فِي اللَّيْلِ، وَعَلَى الأَقَارِبِ، وَفِي الأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ، وَبِكِثْرَةِ الأَوْرَادِ، وَأَنْوَاعِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالاِكْتِسَابِ بِنِيَّةِ الْخَيْرِ، وَإِيصَالِ خَيْرٍ أَوْ سُرُورٍ إِلَى مُسْلِمٍ.

وَاجْعَلْ لَكَ خَبِيئَةَ وِرْدٍ، وَإِنْ قَلَّ؛ لِيَنْفَعَكَ غَدًا. وَاجْتَهِدْ فِي الإِخْلاَصِ فِيهِ، وَفِي إِخْفَائِهِ عَنِ النَّاسِ؛ إِذْ مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْهُ رُبَّمَا كَانَ قَلِيلَ النَّفْعِ فِي الآخِرَةِ.

## فَصْـــلٌ: التّصَوُّف فَرْضُ عَيْنٍ، وَأَرْكَانه:

**أولاً**: الْعُزْلَةُ، وَتَجِبُ إِنْ خَافَ عَلَى دِينِهِ، وَفِي الْفِتَنِ إِنْ عَجَزَ عَنْ إِزَالَتِهَا، وَإِلاَّ حَرُمَتْ، وَإِن انْتَفَيَا فَهَلْ الأَفْضَلُ الْخُلْطَةُ لاِكْتِسَابِ فَوَائِدِهَا؟ أَوْ الْعُزْلَةُ إِنْ أَفَادَتْ فِكْرَةً، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَذَى النَّاسِ، وَلَمْ يَتَرَفَّعْ بِهَا، وَلَمْ يَحْتَجْ، وَلَمْ يُحتَجْ إِلَيْهِ؟ وَإِلاَّ نُدِبَتْ الْخُلْطَةُ فِي الأَوَّلَيْنِ، إِنْ سَلِمَ مِنْ آفَاتِهَا، وَوَجَبَتْ فِي الْبَوَاقِي بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ.

**ثانياً**: التَّوْبَةُ، وَهِيَّ تَرْكُ ذَنْبٍ سَبَقَ مِثْلُهُ اخْتِيارًا تَعْظِيمًا لله تَعَالَى، وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ، مَعَ النَّدَمِ، وَالنِّيَّةِ أَنْ لاَ يَعُودَ.

**ثالثاً**: رَدُّ المَظَالِمِ. **رابعاً**: الْجُوع. **خامسا**: السَّهَر. **سادسا**: الصَّمْت إِلاَّ عَنْ خَيْرٍ. **سابعا**: الاِسْتِقَامَةُ عَلَى السُّنَّةِ. **ثامناً**: تجنب البدعة. **تاسعا**: تَقْوَى الله ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

# الْبَابُ الأَوَّلُ فِي الْخَلْقِ:

**اعْلَمْ** أَنَّ الاِلْتِفَاتَ إِلَى الْخَلْقِ حِجَابٌ، وِمِنَ الْخَلْقِ الْهَوَى وَالشَّيْطَانُ، فَاعْصِهِمَا، وَالنَّفْسُ، وهِيَّ أَضَرُّ الأَعْدَاءِ؛ فَلاَ تَرْكَنْ إِلَيْهَا، وَلاَ تَرْضَ عَنْهَا، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَاتَّهِمْهَا، وَلَوْ فِي الطَّاعَةِ؛ لِخُدعهَا ومكائدها، وَاحْمِلْهَا عَلَى مَكْرُوهِهَا؛ فَإِنَّ الْمَكَارِمَ بِحَسَبِ الْمَكَارِهِ، وَجَاهِدْهَا امْتِثَالاً لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ تَعَالَى بِالأَمْرِ بِالإِخْلاَصِ هِيَ الْعُلْيَا، وَحَاسِبْهَا كُلَّ لَحْظَةٍ؛ لِيَخِفَّ حِسَابُكَ غَدًا، وَلاَزِمْهَا بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَهَوْلِهِ، وَكُنْ فِي الْحَذَرِ مِنْهَا كَمَنِ احْتَوَشَتْهُ السِّبَاعُ إِنْ غَفَلَ سَاعَةً افْتَرَسَتْهُ، فَهُوَ مَذْعُورٌ أَبَدًا. وَعَدَاوَتُهَا لَكَ نِعْمَةٌ؛ لِتَضْطَرَّ إِلَيْهِ فِي دَفْعِهِمَا.

## فَصْـــلٌ

**وَمِنْهُ الدُّنْيَا**، فَانْفُضْ يَدَ الْقَلْبِ مِنْهَا زُهْدًا فِيهَا؛ لِيَزْكُوَ عَمَلُكَ. وَهُوَ تَرْكُ إِرَادَتِهَا بِالْقَلْبِ، وَلاَ تَفْرَحْ بِمَوْجُودِهَا، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَى مَفْقُودِهَا؛ لأَنَّ حُبَّهَا بِالطَّبْعِ مِنْهُ يَتَفَرَّعُ كُلُّ شَرٍّ.

وَحَرَامُهَا طَرْدٌ وَحِرْمَانٌ وَعَذَابٌ، وَشُبُهَاتُهَا ظُلْمَةٌ وَعِتَابٌ، وَإِمْسَاكُ حَلاَلِهَا تَفَاخُراً وَتَكَاثُراً حِسَابٌ وَعِقَابٌ، وَشَهْوَةً حَبْسٌ وَحِسَابٌ، وَاحْتِيَاجاً وَعَوْناً عَلَى الطَّاعَةِ وَتَعَطُّفاً عَلَى النَّاسِ وَتَعَفُّفاً عَنْهُمْ - لِيَسْلَمُوا مِنْهُ، وَيَسْلَمَ لَهُ دِينُهُ - خَيْرٌ وَثَوَابٌ.

وَالْكَفَافُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى. وَالْغَنِيُّ الشَّاكِرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقِيرِ الصَّابِرِ. وَكُنْ عَنْدَ أَخْذِ الْقُوتِ مِنْهَا كَالْمُضْطَرِّ إِلَى الْمَيْتَةِ، وَفِيهَا كَالْغَرِيبِ الْمُسَافِرِ الْمَسْجُونِ.

وَكَدَرُهَا كَالْبَلاَءِ وَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَالْمُصِيبَةِ نِعْمَةٌ؛ لِأَنَّ مَنْ فَقَدَهُ سَكَنَ إِلَيْهَا فَتَصِيرَ جَنَّتَهُ، فَيَكْرَهَ لِقَاءَ اللهِ، وَلأَنَّ بِهِ الاِضْطِرَارُ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ تَعَالَى كَرْهاً؛ لِأَنَّ أَفْضَلَ أَحْوَالِ الْعَبْدِ حَالَةَ الذُّلِّ وَالاِضْطِرَارِ، وَهُوَ أَنْ لاَ يَرَى لِغِيَاثِهِ حَوْلاً وَلاَ سَبَباً يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ إِلاَّ مَوْلاَهُ، كَالْغَرِيقِ وَالضَّالِّ، وَأَدْنَاهَا حَالَةُ النَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ وَالاِسْتِنَادِ إِلَى الْغَيْرِ حَتَّى فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْمَالِ؛ وِلذَا كَانَ **ذُلُّ الذَّنْبِ وَالْبَلاَءِ خَيْراً مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ وَالْعَطَاءِ**، وَفِيهِ ضُعْفُ النَّفْسِ وَتَحْقِيرُهَا، وَالْمَنْعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَتكْفِيرُهَا، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الآخِرَةِ وَتَذْكِيرُهَا، وَالأَجْرُ إِنْ رَضِيَ، وَصَفَاءُ الْبَاطِنِ، وَطَاعَتُهُ، وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ طَاعَةِ الظَّاهِرِ؛ لأَنَّهَا أَشَقُّ عَلَى النَّفْسِ.

## فَصْـــلٌ

**وَمِنْهُ النَّاسُ**، فَارْفَعْ هِمَّتَكَ عَنْهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَشَكْوىً، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، وَاقْنَعْ بِعِلْمِهِ تَعَالَى فِيكَ، وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنَيْنِ: عَيْنِ الشَّرِيعَةِ بِالأَمْرِ بالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِقَامَةِ الْحَدِّ، وشُكرِ إحسانهم، وَبِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ بِالْعُذْرِ إِنْ عَصَوْا؛ فَإِنَّهُمْ مَجْبُورُونَ، أَوْ مَنعُوكَ أو آذَوْكَ فإنَّ المانعَ الضارَّ هوَ اللهُ تعالى.

وَعَامِلْهُمْ بِإِعْطَاءِ الْحُقُوقِ، وَكُفَّ الأَذَى عَنْهُمْ، وَصَبْرِهِ مِنْهُمْ، وَسِيَاسَةِ النَّصِيحَةِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالإِحْسَانِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ ظَاهِرًا، مَعَ الاِنْقِبَاضِ

باطناً، والرِّفقِ، وسلامةِ الصَّدْرِ، وإرادةِ الخيرِ لهم، والأمانةِ. وإذايتُهم لك نعمةٌ؛ إذْ يردُّك بها إليهِ.

## فَصْـــلٌ

**وَمِنْهُ العَمَل،** فلا تعتمدْ عليه، ولا تطلبْ عليه ثواباً؛ لاعتلاله، ولأنه ليسَ لك، فصحِّحه بالصِّدقِ، وقُلْ إذا دخلتَ جنَّتك: ﴿ما شاء الله لا قوّة إلا بالله﴾.

# البـاب الثـاني في الرذائـل

**اِعْلَمْ أَنَّ الرَّذَائِلَ** - وَهِي الذُّنُوبُ - تُورِثُ لِلْقَلْبِ الْقَسَاوَةَ، وَلِلْعَبْدِ الشَّقَاوَةَ، وَيَتَعَجَّلُ شؤْمُهَا في الدُّنْيَا، وَمِنْهُ أَنَّ بَلِية صَاحِبِهَا نِقْمَةٌ، وَنِعْمَتُهُ اسْتِدْرَاجٌ، بِخِلاَفِ الْمُطِيعِ، فَإِيَّاكَ ومُحَقَّرَاتِهَا، فَبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْهَا، وَإِلى مُكفِّراتِها؛ كَالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ سَلَّمَ، وَكَالتَّهَجُّدِ، وَكَخِدْمَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَكَثْرَةِ الاِسْتِغْفَارِ، وَسَيِّدِهِ، وَالتَّسْبِيحِ، وصلاته، وَهي أَعْظَمُها.

## فَصْـــلٌ

**الرَّذَائِلُ قِسْمَانِ: ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ:**

**أَمَّا الظَّاهِرَةُ** فَهِيَ حرَامٌ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهَا؛ كَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالأَيْمَانِ الْخَائِنَةِ وَالزُّورِ وَالْفَحْشَاءِ وَمَا لاَ يَعْنِي، وَالنَّظَرِ وَالسَّعْيِ إِلَى حَرَامٍ، وَمُبَاشَرَتِهِ بِفَرْجٍ وَغَيْرِهِ، وَالنُّطْقِ بِهِ وكَتْبِه وَسَمَاعِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ، ودَمِ كمُسْلِمٍ وَمَالِهِ وَعِرضِهِ وهِجْرَانِهِ، إلاَّ لِحَقٍّ شرعيٍّ وَاحْتِقَارِهِ وَإِهَانَتِهِ، والمُداهَنةِ، وَكُلِّ مُعَامَلَةٍ فَاسِدَةٍ.

## فَصْـــلٌ

**وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ** فَهِيَ عُيُوبُ النَّفْسِ يُخْشَى مِنْهَا سوءُ الْخَاتِمَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى، وَتَنْقَلِبُ فِي الْقَبْرِ حَيَّاتٍ وَعَقَارِبَ، وَهِيَ أَشَدُّ من الظاهرة؛ لِمُلاَءَمَتِهَا النَّفْسَ، كَمَا أَنَّ اجْتِنَابَ الْمَنْهِيَاتِ - وَهُوَ التَّقوَى - أَفْضَلُ مِنْ امتثال الْمَأْمُورَاتِ.

**وَهِيَ** وَإِنْ كَثُرَتْ تَرْجِعُ إِلَى ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ، وَهِيَ: أَنَّ النَّفْسَ **مَجْبُولَةٌ** عَلَى تَرْكِ الطَّاعَةِ وَحُبِّ الرَّاحَةِ، فَذَلِكَ هَوًى يُكَدِّرُ الْعُبُودِيَّةَ، ثُمَّ إِنْ عَمِلَتْ شَابَتْهُ بِالآفَاتِ، وَذَلكَ شِرْكٌ يُكَدِّرُ التَّوْحِيدَ، ثُمَّ إِنْ سَلِمَ مِنْهَا عَظَّمَتْهُ لَهُ فَيَعْجَبُ بِهِ.

وَلَنْ تَصِلَ إِلَى الله تَعَالَى إِلاَّ بَعْدَ قَطْعِ عَقَبَاتِهَا، فَالتَّشَاغُلُ بِمَعْرِفَتِهَا وَمُدَاوَاتِهَا وَاجِبٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، فمَعْرِفَتُهَا تُسْتَفَادُ بِصُحْبَةِ شَيْخٍ أَوْ صَدِيقٍ ناصِحٍ، أَوْ مِنَ الْمُخَالَطَةِ، وَمِنَ الأَعْدَاءِ.

**وَدَوَاؤُهَا جُمْلَةً**: الرُّجُوعُ إِلَى الله تَعَالَى، كَمَا أَنَّ الرُّجُوعَ إِلَى ربِّ الْكَلْبِ أَوْلَى، وَصِدْقُ الْمُجَاهَدَةِ بِالْجُوعِ وَمَنْعِ الشَّهَوَاتِ وَتَحَمُّلِ أَثْقَالِ الْعِبَادَاتِ، وَالْحَلاَل، وَصُحْبَةُ الصَّالِحِينَ. "**كُلْ ما شِئْتَ تَفْعَلْ مِثْلَهُ، وَاصْحَبْ مَنْ شِئْتَ تَكُنْ مِثْلَهُ**"، وَالْفِرَارُ مِنْ مَظانِّ الذَّنْبِ.

## فَصْـــلٌ

**وَأَمَّا دَوَاؤُهَا تَفْصِيلاً فَهَاكَ بَعْضَهُ وَبَعْضَهَا:**

**أَمَّا الْكِبْرُ** - وَهُوَ أَعْظَمُهَا - لِأَنَّهُ قَادْحٌ فِي الدِّينِ، وَغَيْرُه فِي الْعَمَلِ. وَمِنْهُ الْحَيَاءُ الطَّبِيعِيُّ، وَإِخْفَاءُ الْحَقِّ وَرَدّهُ، وَاحْتِقَارُ النَّاسِ، **فدوَاؤه**: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمُمْكِنَات سَوَاءٌ، فَلَسْتَ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ لِجَهْلِ الْخَاتِمَةِ، وَأَنَّ الْوَعِيدَ فِيهِ شَدِيدٌ؛ فَقَدْ أَهْلَكَ إِبْلِيس، وَأَنَّ أَوَّلَكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، ثُمَّ تَصِيرُ حَامِلاً عَذِرَةً، ثُمَّ جِيفَة قَذِرةً، "أنتم بنو آدم، وآدم من تراب".

**وَأَمَّا الْعُجْبُ فَدَوَاؤُهُ:** أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ لَكَ، وَأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ لاَ يُقْبَلَ منك، وَأَنَّكَ مُقَصِّرٌ فِيهِ، وَأَنَّكَ لَمْ تُوفِ مِنْ حَقِّ الله عَلَيْكَ ذَرَّةً، وَأَنَّ مَنْ

اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِ الله تَخَلَّى عَنْهُ غَدًا، وَرُبَّمَا أَفْسَدَ فِي لَحْظَةٍ عِبَادَةً كَثِيرَةً، وَأَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يسْتَعْظِمَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ لِسَيِّدِهِ.

**وَأَمَّا السُّمْعَةُ،** وهي الإِخْبَارُ بِعَمَلٍ خَالِصٍ لِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الرِّيَاءِ الثَّلاَثَةِ.

**وَالرِّيَاءُ،** وَهُوَ الْعَمَلُ لِقَصْدِ تَعْظِيمِ النَّاسِ، أَوْ جَلْبِ الْخَيْرِ، أَوْ دَفْعِ الشَّرِّ، وَفِي قَصْدِ الدُّنْيَا خِلاَفٌ، إِنْ لَمْ يَنْوِ بِهَا خَيْرًا، وَإِلاَّ فَإِخْلاَصٌ.

فَالْمُلْتَفِتُ لِلْخَلْقِ مُرَاءٍ وَلَوْ كَانَ خَالِيًّا، وَإِلاَّ فَمخلصٌ، وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلّهمْ.

**وَمِنَ الرِّيَاءِ الْعَمَلُ اسْتِحْلاَءً،** أَوْ تَقَرُّبًا مِنَ الْحَضْرَةِ، أَوْ وُصُولاً إِلَى الله تَعَالَى، أو اسْتِدْعَاءً للتَّعْظِيمِ مِنَ النَّاسِ، أَوْ الْخَوَارِقِ مِنْهُ تَعَالَى بِعَمَلِهِ، وَحُبُّ شُعُورِهِمْ بِهِ، **وَهُوَ الرِّيَاءُ الْخَفِيُّ،** وَأَخْذُ السُّبْحَةِ، وَالإِطْرَاقُ والْخُشُوعُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لأَجْلِهِمْ، وَالشُّكْرُ طَلَبًا لِلزِّيَادَةِ.

**فَدَوَاؤُهَما:** أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الأَمْرَ كُلّهُ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَالْمَخْلُوقُ لاَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ، فَكَيْفَ غَيْرَهُ؟ وَأَنَّ الْوَعِيدَ فِيهِمَا شَدِيدٌ، فَمِثَال الْمُرَائِي مَنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَبِيعَ جَوْهَرَةً بِأَلْفِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا بِفلس، وَمَنْ أَمْكَنَه رِضَى أَعْظَمِ ملكٍ بِسَعْيِهِ، فَطَلَبَ بِهِ رِضَى دَنِيٍّ، فَكَيْفَ وَالدَّنِيُّ يُبْغِضُكَ وَيَسْخَطُ عَلَيْكَ بِسَخَطِ الْمَلكِ إِنْ عَلِمَ أَنَّكَ تَعْمَلُ لِأَجْلِهِ؟ ففاتك الكلّ.

فاعْمَلْ لِمَنْ إِذَا عَمِلْتَ له أَحَبَّكَ وأَكْرَمَكَ وأعطاك حتى أرضاك، وَأَغْنَاكَ عَنِ الْكُلِّ.

**وَأَمَّا الْحَسَدُ**، وَهُوَ تَمَنِّي زَوَال نِعْمَةٍ عَنْ مُسْلِمٍ فِيهَا لَهُ صلاَحٌ، فَتَسُرُّكَ مُصِيبَتُهُ، أَوْ تُحْزنكَ نِعْمَتُهُ، **وَالْغِشُّ**، وَهُوَ إِخْفَاءُ عَيْبٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ عَنْ جَاهِلِهِ، **وَالْحِقْدُ**، وهو بَغضةٌ ثابتة يجدها العبد في نفسه لأحد من المسلمين بغير موجب شرعي، **فَدَوَاؤُهَا**: أَنْ تَدْفَعَهَا بِقَلْبِكَ، وَتَكْرَهَا كَمَا تَكْرَهُ مَا طُبِعْتَ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْمَنْهِيَّاتِ، وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ، وَتَدْعُوَ لَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مُبْغِضَ مَنْ أَحَبَّهُ الله تعَالَى وَعَظَّمَهُ مُتَعَرِّضٌ لِسخطِهِ تعالى، وَمُعْتَرِضٌ عَلَيْهِ، وَعَدُوٌّ نِعْمَتِهِ، وَكَفَى بِذَلكَ شَرًّا.

فَعَظِّمْ مَنْ آثَرَهُ الله تَعَالَى بخاصيته، وَلاَ يَمْنَعكَ مِنْهُ فَضْلُكَ؛ فَتَهْلكَ وَتُسْلَبَ، وَالْعِيَاذُ بِالله تعالى.

**وَأَمَّا التَّصَنُّعُ** وَتَزْيِينُ الظَّاهِرِ وَتَدْنِيسُ الْبَاطِن بِالْخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ، فَادْفَعْهُمَا بِالذِّكْرِ مع الحُضُورِ.

فَزَيِّنْ بَاطِنَكَ مَوْضِعَ نَظَرِ الْخَالِقِ، بَدَلاً عَنْ ظَاهِرِكَ مَوْضِعَ نَظَرِ الْخَلْقِ: تَزْدَنْ منْ غَيْرِ زِينَةٍ. "من أصلح سريرته أصلح الله علانيته".

**وَأَمَّا طَلَبُ الْعُلُوِّ** الْمُجَرّدِ؛ كَالْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَالتَّمَيُّزِ عَنِ الأَقْرَانِ فَذَلكَ يبْعِدُكَ عَنِ الله تَعَالَى.

**وَأَمَّا التَّكَبُّرُ** والفخر وَالْمُبَاهَاةُ بِالْعِلْمِ وَطَلَبُ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ بِهِ: فَالْوَعِيدُ في ذلك شَدِيدٌ، وَاشْكُرْهُ تَعَالَى أَنْ جَعَلَكَ وِعَاءً لِعِلْمِهِ.

**وَأَمَّا الْحِرْصُ** وَهَمُّ الرِّزْقِ وَخَوْفُ الخَلْقِ وَالطَّمَعُ فِيهِمْ وَاسْتِكْشَاف الضُّرِ مِنْهُمْ، فَاعْلَمْ بِعَجْزِهِمْ، وَأَنَّكَ لاَ تَنَالُ إِلاَّ مَا قُدِّرَ لكَ؛ لأَنَّهُ "جَفَّ الْقَلَمُ عَمَّا هُوَ كَائِنٌ"، وَ"فَرِغَ رَبُّكَ مِنْ أَرْبَعٍ: خَلْقٍ وَخُلُقٍ وَرِزْقٍ وَأَجَلٍ"، وَمَنْ طَلَبَ مَا لَمْ

يُخْلَقْ تَعِبَ وَلَمْ يُرْزَقْ، وَلاَ يَكُونُ إِلاَّ مَا يُرِيدُ، لاَ مَا تُرِيدُ، وَلَوْ حَرِصْتَ، وَلاَ نَفْعَ وَلاَ ضَرَّ إِلاَّ مِنْهُ تَعَالَى، وَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ أَوْ يُحَرِّكُوا ذَرَّةً دُونَ إِرَادَتِهِ تَعَالَى لَعَجَزُوا، وَبِالْعَكْسِ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. وَأَنَّهُ تَعَالَى وَعَدَ بِرِزْقِكِ، وَضَمِنَ، وَأَقْسَمَ، فَلاَ تَضْطَرِبْ لِفَقْدِهِ؛ لأَنَّهُ تعَالَى عَالِمٌ بِحَالِكَ، وَمُنَزَّهٌ عَنْ الْعَجْزِ وَالنِّسْيَانِ، وَخُلْفِ الْوَعْدِ، وَصَحِّحْ إِيمَانَكَ بِخَبَرِهِ تعَالَى، وارفع همتك عن الخلق، وَكُلْ بِعِزٍّ.

**وَأَمَّا تَعْظِيمُ الأَغْنِيَاءِ** وَالإِعْرَاضُ عَنِ الْفُقَرَاءِ فَقَدْ عُوتِبَ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، ولاَ تَنَالُ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَكَ.

وَأَمَّا حُبُّ الْمَدْحِ والاِغْتِرَارُ بِهِ وَبُغْضُ الذَّمِّ فَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ مَا عِنْدَهِ لِظَنِّ مَا عِنْدَ النَّاسِ.

**وَأَمَّا مجَرَّدُ سُوءِ الظَّنِّ** وَرُؤْيَةُ الْفَضْلِ عَلَى الْغَيْرِ وَاسْتِحْسَانُ أُمُورِهِ وَاسْتِقْبَاحُهَا مِنْ غَيْرِهِ، فَاتَّهِمْ نَفْسَكَ، وَحَسِّنِ الظَّنَّ بِالْخَلْقِ؛ لإِبْهَامِ الْعَوَاقِبِ.

**وَأَمَّا التَّسْوِيفُ** والغفلةُ والتَّواني والإصرارُ، فَتَفَكَّرْ فِي عَذَابِ الله وَنَعِيمِهِ، وَفِي أَنَّهُ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ، وَأَنَّكَ مُحَاسَبٌ على الخطْرَةِ وَالْخُطْوَةِ، وَفِي أَنَّ أَكْثَرَ صيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ، وَأَنَّهُ لَعَلَّكَ لاَ تَبْقَى إِلَى غدٍ، أَوْ لاَ تَقْدِرُ عَلَى هَذَا غدا كَالْيَوْمِ.

**وَأَمَّا تَرْكُ التَّكَسُّبِ** تَوَكُّلا مَعَ التَّشَوُّفِ لِلْخَلْقِ وَالسُّخْطِ، فَاعْلَمْ أَنَّ التَّكسُّب لاَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ، وَأَنَّ الأَفْضَلَ جَمْعُهُمَا، وَإِنْ اخْتُلِفَ فِي ذلِكَ؛ لأَنَّهُ تَعَالَى رَبَطَ فِعْلَهُ عَادَةً بِأَسْبَابٍ جَعَلَهَا أَبْوَابَ فِعْلِهِ، وَرَتَّبَ مُلْكَهُ عَلَى تِلْكَ العَوَائِدِ، فَمَنْ طَلَبَ مِنْهُ تَعَالَى فِعْلاً بِدُونِ بَابِهِ فَقَدْ أَسَاءَ الأَدَبَ.

وَمَحَلُّ الْخِلاَفِ فِي الأَفْضَلِ مِنْهُمَا مَا لَمْ تَتَعَذَّر الأَسْبَابُ، وَإِلاَّ تَعَيَّنَ التَّوَكُّلُ، وَلَمْ يَتَشَوَّفْ، وَلَمْ يَتَسَخَّطْ، ولم يتوَسْوَسْ، وإلاَّ وَجَبَ جَمْعُهمَا وَهُوَ: فَرَاغُ الْقَلْبِ مِنَ الأَسْبَابِ اتِّكَالاً مَعَ مُبَاشَرَتِهَا امْتِثَالاً؛ لأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالْفرَارِ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلاَكِ إِلَى أَسْبَابِ السَّلاَمَةِ، فِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ اللهِ، فَتَكَسَّبْ ظَاهِرًا امْتِثَالاً وَوُقُوفًا مَعَ الْبَابِ، وَاسْتَسْلِمْ بَاطِنًا اتِّكَالاً وَثِقَةً بِمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ؛ لِتَجْمَعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ؛ فَالإِخْلاَلُ بِالأَوَّلِ زَنْدَقَةٌ وبِالثَّانِي شِرْكٌ.

**وَأَمَّا الأَمَلُ**، وَيتَوَلَّدُ مِنْهُ تَرْكُ التَّوْبَةِ، وَالْقَسْوَةُ، وَالْكَسَلُ، وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ واجِبٍ وتَوَهُّمِ التَّرَخُّصِ، فَاعْلَمْ أَنَّ السَّيْرَ بِكَ سَرِيعٌ، وَلَعَلَّكَ عَلَى شَفَا جُرُفٍ مِنْ الأَهْوَالِ الشَّدِيدَةِ.

**وَأَمَّا الْبَطَالَةُ** وَتَضْيِيعُ الأَوْقَاتِ بِمَا لاَ يَعْنِي فَاعْلَمْ أَنَّ وَقْتَكَ أَعَزُّ الأَشْيَاءِ، فَاشْغَلْهُ بِأَعَزِّهَا.

**وَأَمَّا الْفَرَحُ** وَطَلَبُ الرَّاحَةِ فَتَذَكَّرْ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَتَقْصِيرَكَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يُبْغِضُ الْفَرَحَ.

**وَأَمَّا نِسْيَانُ إِمْهَالِ اللهِ لَكَ** مَعَ إِسَاءَتِكَ فَذَلِكَ لَيْسَ بِإِمْهَالٍ لَكَ.

**وَأَمَّا الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ** فَذَلِكَ تَحْجِيرٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

**وَأَمَّا الْقُنُوطُ** فَتَفَكَّرْ فِي سِعَةِ رحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

**وَأَمَّا رُؤْيَةُ عُيُوبِ النَّاسِ** وَعَمَاهُ عَنْ عُيُوبِهِ فَاعْذُرْهُمْ وَاسْتُرْ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُرَ اللهُ عَوْرَتَكَ غَدًا.

**وَأَمَّا حُبُّ الدُّنْيَا** وَالْبُخْلُ فَاعْلَمْ بِخِسَّةِ قَدْرِهَا وَفَنَائِهَا، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ؛ فَالْعَاقِلُ مَنْ يَعْمَلُ لِدَارِ قَرَارِهِ.

**وَأَمَّا التَّمَنِّي** فَهُوَ مِنَ الاِعْتِرَاضِ عَلَى الله تعَالَى، فَاسْتَسْلِمْ لِأَمْرِ الله تَعَالَى، فلاَ تَدْرِي مَا يُعْقِبُكَ: أَخَيْرًا أَمْ شَرًّا، أَمْ مَا يُسْخِطُهُ تعَالَى؟

**وَأَمَّا الْمَنُّ** بِالْعَطَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْطِي حَقِيقَةً هُو الله تعالى، وَأَنْتَ وَاسِطَةٌ.

**وَأَمَّا الْغَضَبُ** والْحِدَّةُ وَالْحَمِيَّةُ وَضَيْقُ الصَّدْرِ فَذَلكَ مِنْ أَخْلاَقِ الشَّيْطَانِ، وَأَلاَّ فَاعِلَ إِلاَّ الله تَعَالَى.

**وَأَمَّا الاِسْتِعْجَالُ** فَإِنَّهُ يُوقِعُ فِي السّأمِ وَالْحِرْمَانِ وَالنَّدَمِ وَالْعِصْيَانِ.

# البَابُ الثّالثُ فِي الأَدَبِ وَالْفَضَائِلِ

**اعْلَمْ** أنَّ الأدب أفضل الأَعْمَالِ؛ إذْ بِهِ تَصِلُ إلَى اللهِ تَعَالَى، وَبِهَا إلى الجنة، فَقَدْ قَالُوا: "كَادَ الأَدَبُ أنْ يَكُونَ ثُلثَيْ الدِّينِ"، وهوَ قسْمَانِ: أَدَبُ الظَّاهِرِ مَعَ الْخَلْقِ، وَأَدَبُ البَاطِنِ مَعَ الخَالِقِ، والظَّاهِرُ تبعٌ للباطِنِ.

**فَمِنْ أَدَبِ الظَّاهِرِ**: حُسْنُ الخلُقِ، والْحَيَاءُ، وَالتَّيَامُنُ، والتَّسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّهِمَا، وآدابُ الأكلِ والشّربِ، وَالسِّواكُ؛ ويتأكّدُ عندَ الصلاةِ والتلاوةِ، وَالْمُصَافَحَةُ، وَإِفْشَاءُ السَّلامِ، وَرَدُّهُ، وَعِيادَةُ الْمَرْضَى، وحَمْدُ عاطِسٍ نَدْباً، وَتَشْمِيتُهُ، وَسَدُّ الْفَمِ لِتَثَاؤُبٍ، وَالاِسْتِئْذَانُ والفطرةُ، وَالْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَ، وَإِعْطَاؤُكَ مَنْ حَرَمَكَ، وَصِلَةُ مَنْ قَطَعَكَ، والبِرُّ؛ ويجبانِ فِي الرّحِمِ والوَالِدِ، وَتَرْبِيَةُ الأَوْلاَدِ، وغير ذلك.

**وَأَمَّا أَدَبُ الْبَاطِنِ** مَعَ الْخَالِقِ فَإِسَاءَتُهُ طَرْدٌ عَنِ الْحَضْرَةِ الإلهيةِ وَحِجَابٌ عن الملك العلام، وَذَلكَ أَشَدُّ الْعذاب، كَالتَّعَرُّضِ لِقَضَائِهِ تَعَالَى، ولَوْ بِـ "لَوْ" وَ"لَوْلاَ" وَ"لَعَلَّ" وَ"لَيْتَ"، وَالاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى خَلْقِهِ، أَوْ عَلَى الْمَشَائِخِ قَلْبًا وَقَالَبًا، وَالاخْتِيَارِ وَالتَّدْبِيرِ مَعَهُ قَلْبًا، وَالاِلْتِفَاتِ إِلَى الخَلْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَشَكْوَى وَإِقْبَالاً وَإِدْبَارًا، وَتَتَبُّعِ الرُّخَصِ، وَتَعَاطِي المُبَاحِ بِلا نِيةِ طَاعَةٍ، أَوْ تَوَصُّلٍ إليهَا، أَوْ كَفٍّ عَن حَرَامٍ، ونومِ النّهارِ من غيْرِ سَهَرِ اللَّيل، أَوْ قبلَ الغلبةِ، أَوْ ليْلةَ الجمُعَةِ، أو قولِ: "هَذَا لِي"، أو "مُلْكِي"، أو "يَضُرُّني"، والتَّهَاوُنِ بِصَلاَةِ الجَمَاعَة، أو بِالْحُضُورِ وَالْخُشُوعِ فِي الصَّلاَةِ، أو بِالْقِيَّامِ لِأَهْلِ الفَضْلِ، وَالأَكْلِ بالدِّينِ، والمواظبةِ على تركِ قيام الليل؛ فإنه فَقْرٌ في الآخرةِ، وَمُجَرّدِ الاعْتِذَارِ، والإنْكَارِ، والزِّينَةِ، وَالتَّقَرُّبِ لِلأُمَرَاءِ، وَدَعْوَى الْمَقَامَاتِ، والتَّصَدُّرِ لهَا.

## فَصْـــلٌ

**وَمِنَ الأَدَبِ** مُرَاعاةُ حُقُوقِ الأَوْقَاتِ الأَرْبَعَة التِي لاَ تُقْضَى:

**أَمَّا الطَاعَةُ** فحقُّ الله عَلَى العَبْدِ فِيهَا أَنْ يرَاهَا مِنَّةً وَيَفْرَحَ بِهَا؛ ليُخلِصَ ويشكرَ ولَا يعجبَ، وَناقصَةً لِيَسْتَغْفِرَ. فَيَنْظُرَهَا بِعَينَيْن، فَتَكُون أفْضلَ مِن طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ خَالِيةٍ مِنْ ذَلِكَ.

**وأَمَّا النِّعْمَةُ** فحقُّ اللهِ عَلَى الْعَبْدِ فِيهَا شهُودُ مِنَّتِه تَعَالَى، وَانْفِرَادِه بها، وَشُكْرُهُ مَعَ شُكْرِ الْوَاسِطَةِ إن كانت، جمعًا بينِ الحقيقةِ والشَّريعَةِ، وَإِلاَّ كَانَ كفْرَانًا وَكُفْرًا إِنِ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ ذَلِكَ، وَأَنْ تَفْرَحَ بالمُنْعِمِ شُكْرًا، أَوْ بهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْهُ تَعَالَى، لا بِهَا لِنَيْلِ غَرضِك، فيمكر بكَ، وَأَنْ تَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ. وَتَوَالِيهَا مَعَ دَوَامِ الْإِسَاءَةِ وَعَدَمِ الشُّكْرِ اسْتِدْرَاجٌ.

**وَأَمَّا الْمَعْصِيَةُ** فَالْخَوْفُ وَالتَّوْبَةُ وَالتَّضَرُّعُ والبكاء والشُّكْرُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَكْبَرَ، وَإِذْ لَمْ تَسْتَحِلَّهَا، وَمُلاحظة اللُّطْفِ وَخَفِيِّ الْمِنَّةِ؛ إِذْ رُبَّمَا تَكُونُ سَبَبًا لِكَفِّ العُجْبِ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْهَا؛ إِذِ العُجْبُ يَصْرِفه عَنْ رَبِّهِ إِلَى النَّفْسِ والاِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، بِخِلاَفِ الْمَعْصِيَةِ؛ فَإِنَّهَا تُلْجِئُ صَاحِبَهَا إِلَى رَبِّهِ.

**وَأَمَّا النِّقْمَةُ** فَالصّبْرُ وَالرِّضَى؛ إِذْ يقبُحُ عَلَيْك أن تَتَّهم مَوْلاَك؛ فَتَكْرَه فعلَه، وهُو أشفقُ عَلَيْكَ مِن نَفْسِكَ ووَالِدَيْكَ، وَلَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا صَلاَحَكَ، وَسُؤَالُ الْكَشْفِ وَالْعَافِيَةِ، وَالتَّسَبُّبُ إِنْ أَمْكَنَ، ونَفْيُ الشَّكْوَى إِلاَّ إِلَى الْمَوْلَى، وَالاِلْتِفَاتُ لِمُوجِبِهَا فَيَتُوبَ مِنْهُ؛ إِذْ مَا أَصَابَنَا مِن مُّصِيبَةٍ بمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا؛ فلذا كان سَبُّ الظلَمَة ظُلمًا، وَرُؤْيَةُ النِّعَمِ فِي طَيِّ النِّقَمِ، وَالشُّكْرُ إِذْ لَمْ تَكُن أَكْبَرَ، وَإِذْ لَمْ تَكُنْ فِي دِينِهِ، وَإِذْ سَلَكَ بِكَ مَسَالِكَ الأَوْلِيَاءِ؛ وإِذْ عُجِّلَت

عُقُوبَتُهَا فِي الدُّنْيَا. ولْيَكُنْ شعارُك فِي الْأَوْقَاتِ: الْحَمْدُ لِلّٰهِ أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، إِلَّا أَنَّهُ يُقَدِّمُ الاِسْتِغْفَارَ في الْأَخِيرَتَيْنِ.

## فَصْـــلٌ

**وَمِنَ الْأَدَبِ الصَّبْرُ** عَلَى الْعِبَادَةِ، وَعَلَى الْمَصَائِبِ، وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى - وَمِنْ كَمَالِهِ كِتْمَانُهَا - و عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، و عَنِ الْأَفْكَارِ الرَّدِيَّةِ، وَفِي النِّعَمِ والْعَافِيةِ.

**وَالدُّعَاءُ** عُبُودِيَّةً وَمُنَاجَاةً لِرَبِّكَ، وَإِظْهَارًا لِلْفَاقَةِ، وَإِلاَّ فَالرَّبُّ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ؛ لا تَسَبُّبًا لِلْعَطَاءِ؛ فَتَتَّهِمَ رَبَّكَ. وَهُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ.

**وَالشُّكْرُ**، وَهُوَ شُهُودُ النِّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ، وَاسْتِعْمَالُهَا فِي رِضَاهُ جَنَانًا وَلِسَانًا وَأَرْكَانًا.

**وَالتَّوَاضُعُ**، وَمِنْهُ التَّكبُّرُ عَلَى المتكَبِّر والغنيّ.

**وَالْإِخْلَاصُ**، وَدَرَجاتُهُ ثَلاَثٌ: عُلْيَا وَوُسْطَى وَدُنيَا: أَنْ تَعْبُدَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا، أَوْ عَبُودِيَّةً وَامْتِثَالًا، أوْ لِنَيْلِ الثَّوَابِ وَدَفْعِ الْعِقَابِ.

**وَالرَّجَاءُ**، وَهُوَ الْأَمَلُ مَعَ الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْمَرْجُوِّ، وَإِلَّا فطَمَعٌ وَغُرُورٌ وَأُمْنِيَّةٌ.

**وَالْخَوْفُ** وَالْحُزْنُ؛ لِأَنَّ أمْرَكَ مَجْهُولٌ، وَلَسْتَ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ.

والصِّدْقُ، وَالرِّضَى، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْقَناعَةُ، وَالتَّفْويضُ، وَالمُراقَبَةُ، وَتَطْهيرُ الإِيمانِ بِمَاءِ التَّوْبَةِ وَالحَلالِ، وَسَقْيُ شَجَرِه بِأَمْطَارِ الطَّاعَاتِ والأعْمَالِ، وَصَلاةُ الضُّحَى، وَالنَّدَمُ عِنْدَ فَواتِ الطّاعَةِ، وَتَجَنُّبُ أسْبَابِ خَاتِمَةِ السُّوءِ، أَعَاذَنَا اللّٰهُ مِنْها، كَاسْتِيلاءِ حُبِّ الدُّنْيا علَى الْقَلْبِ، وَالاِنْكِبابِ عَلَيْها بِصَرْفِ الهِمَّةِ إِلَيْها: بِالْجَمْعِ، وَالْمَنْعِ لِحُقُوقِها، وَاسْتِغْراقِ الْقَلْبِ فِي تَدْبِيرِها، وَالتَّوَسُّعِ فِي نَعِيمِها بِما

يُوجِبُ الرُّكونَ إِلَيْها، وَكَتَمَكّنِ الآفَاتِ فِي الْقَلْبِ، وَلاَسِيمَا الكِبْرُ وَالإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالنِّفَاقُ، وَالْبِدْعَةُ، وَالوقِيعَةُ فِي الأَوْلِيَّاءِ، وَتَكْذِيبُهِمْ، وَدَعْوَى الولاَيَة والكرامة افْتِرَاءً.

**وَمِنَ الأَدَبِ** الاهْتِمَامُ بِالسُّور والآيَاتِ الفَاضِلَةِ والأذكارِ الجامِعَةِ، وَلا سِيمَا إِذا ضاقَ العُمرُ وَالوَقْتُ. وبالأمور لمعلَّق عليهَا حسنُ الخاتمةِ، رزقنا الله إياها بمنه وكرمه.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

**انتهى.**

# الفهرس:

Contenu

مقدمة:.......................................................2
نـــصُّ الخـــــاتمة.............................................5
مُقَـدِّمَـةٌ: .......................................................5
فَصْــــلٌ:......................................................7
فَصْــــلٌ: التّصَوُّف فَرْضُ عَيْنٍ، وَأَرْكَانه: ...............................7
الْبَابُ الأَوَّلُ فِي الخَلْقِ:..............................................9
فَصْــــلٌ.......................................................9
فَصْــــلٌ.......................................................10
فَصْــــلٌ.......................................................11
البــاب الثــاني في الرذائــل..........................................12
فَصْــــلٌ.......................................................12
فَصْــــلٌ.......................................................12
فَصْــــلٌ.......................................................13
البَابُ الثّالثُ في الأَدَبِ وَالْفَضَائِلِ.......................................19
فَصْــــلٌ.......................................................20
فَصْــــلٌ.......................................................21